



بشائر السليمية

## الحوار .. حل وجودي

في مقاله "الحوار مع الآخر في الإسلام" يحاول أحمد صدقي الدجاني الوصول إلى ما يعنيه الحوار مع الآخر في الإسلام، وإلى إسهامات الحوار في معالجة عدد من القضايا المحيطة بنا عبر تعرفنا على الآخر وتقبله؛ للوصول إلى البغية الحقيقية من الحوار عرض الكاتب مصطلح الإسلام كونه ديناً، ورسالة وحضارة، مركزاً على مجموعة مفاهيم يفصلها عرضاً وتحليلاً، ومجمالاً إياها في:

الدجاني مصطلح الآخريّة الذي يقترحه طاهر لبیب محرر كتاب صورة الآخر بدلا من الغيرية، والآخرين بدلا من الأغباء. ويحدد الدجاني دوائر الآخر قائلا: "الآخر موجود في كل دوائر انتماء الأنا. الانتماء الوطني لقطر له جنسية. والانتماء الديني وفي إطاره الانتماء المذهبي. والانتماء القومي وفي إطاره الانتماء الطائفي. والانتماء الحضاري. ويجتمع الأنا والآخر في دائرة الانتماء الإنساني لأمننا الأرض وللشريعة جمعاء". وهو ما يعني بالضرورة أن الأنا تتحدد من خلال علاقتها بالآخر، أو أنها تتحدد به، فمتى ما عرفت دوائر الآخر، تكشف لنا حدود الأنا.

ويمكن إجمال مقولة الدجاني في الأساس النظري للحوار مع الآخر في الإسلام بأنه أساس قائم في أصله على التطبيق منذ باشر النبي الكريم حواراً مع أتباع الديانتين النصرانية واليهودية فأثمرت تعايشاً وتعاوناً وحواراً متصلاً بين أتباع الديانات في دائرة الحضارة العربية الإسلامية ينشط أحياناً ويفتر أحياناً، "فالعقيدة الإسلامية توفر أساساً قوياً للحوار مع الأديان بعامة وبين بني الإنسان في مختلف الموضوعات".

ولعلنا نضرب مثلاً بالحوار الإسلامي المسيحي كما وصفه شفيق جرادي في مقاله "الحوار الإسلامي المسيحي: التحديات والفرص" بأنه يبني على "أن أتباع الأديان ينفرون عن مقارنة أي أمر ما لم يجدوا في دينهم ما يأذن أو يدفع باتجاهه. وهذا يعني أن الحوار الإسلامي المسيحي يوجب القيام بحركة معرفية مزدوجة يقوم ركنها الأول على فهم ومعرفة الآخر كما هو، بل وكما يقدم نفسه، ثم العودة من جديد إلى الديانة التي نلتزمها لنكشف عندها مدى إمكانية التواصل والتكيف مع مسائل وموضوعات وقيم الديانة التي نعمل على معرفتها. وهذا يعني أن ركيزة الحوار هنا هي ركيزة معرفية تمارس النقد الإيجابي الذي يستجلي الحقائق ويقاربها. ويشكل الوقوف على دراسة اللقاءات والحوارات بين الإسلام والآخر قاعدة بيانية تكبر من خلالها الأفكار المولودة من رحم من هذه الحوارات والتي بشكل أو بآخر تسهم في فائدة الاثنين معاً الإسلام والآخر في وقت ما ومكان ما.

ثالثاً: يقول الدجاني "إن قضايا العصر في عالمنا يحددها واقع قائم. ونحن نستحضرها في وقت يعيش فيه عالمنا فترة عصيبة، وهو يشهد أحداث حرب من نوع خاص تندّر بزلازل عالمية، كمشكلات حماية البيئة والاستخدام الرشيد للموارد الطبيعية لاسيما غير المتجددة منها، وأزمة الطاقة والعمالة والتضخم، والكفاح ضد الأزمات الاجتماعية التي لا تزال تعاني منها غالبية الشعوب، والقضاء على أوجه الظلم وعدم المساواة التي تنتشر داخل الأمم وتسود فيما بينها، والدفاع عن حقوق الإنسان، والكفاح ضد مخلفات الاستعمار، وحماية السلام، ونزع السلاح كما يشير إلى تقرير اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الاتصال الذي صدر عن اليونسكو ١٩٨١".

وهو الأمر الذي يجعل من الحوار ضرورة لا محيص عنها، وبدونها تصبح كل المشكلات مفتوحة على مصراعها دون وسيلة تجدها في سياق يشدها إلى الحل الذي تتوافق عليه الأطراف ذات الصلة، التي هي العالم بأسره، لأن الوضع الراهن إنما يدعو لحوار عالمي شامل لا يستثنى طرفاً ولا يهمل أحدًا. رابعاً: الآخر: ويعرفه الدجاني بأنه "يتحدد تبعاً للمتكلم مفرداً كان أو جماعاً (أنا ونحن) وجمعه الآخرون. وهو مرتبط بالذات والذوات. وقد شاع استخدامه للدلالة على الغير". ويورد

جرس موسيقي يوحي بوجود مراجعة وتفاعل، فهذه العملية ليست سكوناً قطعياً غير قابل للتغيير والتبديل وإنما هو حركي وحيوي قابل للتحويل.

وإذا ما تحدثنا عن الفرق بين التفاعل والحوار، وبينهما وبين الجدال فيقول محمد محفوظ في مقال له حمل عنوان (في معنى الحوار): "إن الجدال هو الذي يقوم على إلحاق الهزيمة بالطرف الآخر وهو مفهوم ممنوع في منطق الحوار. وعليه فإن الحوار بكل مستوياته، هو ضرورة لنا جميعاً، وذلك من أجل تعميق وتوسيع المساحات المشتركة، وبلورة أطر وأوعية للفهم والتفاهم المتبادل، ولكي تتراكم أعراف وتقاليد حوارية تسود في كل دوائرنا الاجتماعية والوطنية".

ولكنني أزعج أن تعريف الجدال الذي أورده محمد محفوظ في مقاله، يعكس على نحو أقرب هاجس من ينظرون إلى الحوار بوصفه ثغرة للتقويض، وهو ما يجعل الطرف الأقوى - من حيث الأداة - رافضاً أو متحفظاً على الحوار كقيمة لازمة في عالم ما عاد يعترف بأحادية النظر، ولعلنا نجد مندوحة عن ذلك في تعريف ابن منظور للجدال بأنه الإحكام والقتل. فليس الجدال إلا دليل التعدد في الرؤى، وهو الأدعى إلى التنوع والثراء الذي لا يستلزم طرفاً غالباً وآخر مغلوباً بالضرورة.

أولاً: الإسلام كونه حضارة: فهو الحضارة التي أقامها المسلمون وغير المسلمين من شعوب الأمة الإسلامية على اختلاف مللهم وأقوامهم، وانتماؤها إليها جميعاً، وهي اليوم في القرن الخامس عشر من قيامها واحدة من ثماني حضارات في عالمنا المعاصر. أما الإسلام كونه دائرة حضارية فهو جميع الأقطار التي تنتمي شعوبها لحضارة الإسلام من المسلمين والمسيحيين واليهود وملل أخرى.

ولعلنا نلاحظ أن انتقال الدجاني المتوسع في تعريف مصطلح الإسلام من كونه رسالة إلى حضارة ثم دائرة حضارية تتسع لتشمل المسلمين وغير المسلمين الذين انصهروا في بوتقة الحضارة الإسلامية جاء ليعكس مثلاً على تقبل الآخر بما يشكل مفتتحاً مفاهيمياً يبدأ به الكاتب هذه الورقة.

ثانياً: الحوار، ففي كتاب حوار ومطارات يقول الدجاني: "لقد شاع استخدام كلمة الحوار في لغتنا هذه الأيام على مختلف الصعد، فالحديث يدور حول حوار الحضارات، وحوار التيارات الثقافية المختلفة، وحوار الشمال والجنوب، والحوار العربي الأوروبي. فالحوار اليوم هو من روح العصر وأحد ظواهره الهامة". ولن يقتصر الحديث عن الحوار - في أيامنا هذه - على الأطراف أو الأقطاب التي تقف على طرفيه، بل لابد أن يشمل الحديث عن وسائله وأدواته كضرورة عصرية تلقي بظلالها على طبيعة الحوار وأبعاده، فقد "تميز عصرنا بثورة الاتصال التي هي إحدى ثمار ثورة العلم التي تفجرت فيه. ومع ثورة الاتصال هذه بأجهزتها السلكية واللاسلكية المسموعة والمرئية وبوسائلها البرية والبحرية والجوية قوي التواصل بين بني الإنسان، واتسعت دائرة الحوار وتنوعت موضوعاته بصورة لم تعرفها الإنسانية من قبل، وشاهد على ذلك هذا العدد الضخم من المؤتمرات والندوات والاجتماعات التي تعقد كل يوم في عالمنا وتنوع الموضوعات التي تبحثها".

ويورد الدجاني وصفاً لكيمياء الأفكار وتفاعلاتها عندما تلتقي مع الأطراف الأخرى بغية التفاعل والتجاوب، اللذين هما أبرز سمات عملية الحوار، الذي يتضمن عملية التفاعل الذي يشهده عقل كل مشارك فيها، فتتدفق الأفكار فيه تدفقاً إلى أن يقدر بعقل إنسان آخر كي تتدفق فيه الأفكار، فما تتميز به كلمة حوار من

